حركة التوافق الوطني الإسلامية
Islamic National Consensus Movement

مكتب الشؤون العقائديَّة

incm_q8@yahoo.com

ملتقى الكرامة السنوي الأوّل

الحسين عليه السلام عِبرة و عَبرة

الإثنين 3 / 3 / 2008م

من الساعة الثامنة مساءً حتى الساعة العاشرة والنصف مساءً

الآلة الإعلاميَّة لحركة عاشوراء

إعداد

سماحة الشيخ علي حسن غلوم

إمام مسجد السيّد هاشم البهبهاني

دولة الكويت

سماحة الشيخ علي حسن غلوم

السيرة الذاتيَّة المختصَرة .

❖❖ **المستوى التعليمي** : خريج الثانوية العامة ـ الكويت 1983 ، والتحق بالحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة في نفس العام ولغاية عام 1991 ، كما التحق بالجامعة الإسلامية المفتوحة بكالوريوس أدب إنجليزي 1989 ـ 1990 .

❖❖ **الأنشطة التبليغية** : إمام مسجد خاتم الأنبياء ﷺ ـ مسجد السيد هاشم البهبهاني ، محاضر ومؤلف لأكثر من 30 مصنفاً ، له عدة إنتاجات برمجية و إعلامية مرئية ومسموعة .

❖❖ **الخبرات** :

- إرشاد ديني في حملة التوحيد للحج لمدة 13 سنة .
- إلقاء محاضرات ومشاركة في ندوات دينية وتربوية وسياسية متخصصة .
- المشاركة في برامج دينية في تلفزيون الكويت وبعض الفضائيات .
- تدريب العاملين في وزارة التربية (إدارة المكتبات ـ قطاع المناهج والبحوث وغيرهما) على الحاسب الآلي .
- دورات في برامج الحاسب الآلي خارج نطاق الوزارة .
- إعداد بعض البرامج الحاسوبية (تدريس منهج القرآن الكريم ـ برامج فقهية ...) .
- إعداد وتنفيذ مسلسل كارتوني تربوي من خلال الحاسوب (مغامرات عجيب) .
- تدريس الأطفال (في مجال التربية الإسلامية) .

❖❖ **المؤلفات** : أكثر من 30 عنواناً مطبوعاً في المجالات التربوية والاجتماعية والفقهية والفكرية والتاريخية .

الآلة الإعلاميَّة لحَرَكَة عَاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أقدم العصور عرف الإنسان الدعاية والإعلام كوسيلتين للسيطرة على الرأي العام وكسبه والاستفادة منه، وتوظيفهما كأداة لخدمة العقيدة أو السياسة أو الحرب أو الاقتصاد أو الموقع الشخصي، أو غير ذلك من الأهداف والأغراض، وتوجيههما الوجهة التي يريدها الإنسان لصالحه، أو لمواجهة غيره، كما يستخدمها لتشويه الحقيقة وتغيير الواقع، أو لإيصال الحقيقة والتعريف بها، وإيضاح المبهمات المحيطة ببعض الأمور.

ولذا كان الإعلام والدعاية والدعاية المضادة بشتى الوسائل والأساليب أعمالاً تستهدف صنع الصورة المرتسمة في الأذهان حول تلك الأمور، أو إعادة تكوينها في الأذهان، للسيطرة على الموقف والاتجاه الإنساني، وكسب الرأي العام وتجنيده إلى جانب هذا الاتجاه، أو الاتجاه الآخر.

و لأهمية الدور والأثر الذي يقدمه الإعلام والعمل الدعائي والدعاية المضادة، لخدمة الفكر والعقيدة والموقف، اهتم به القرآن اهتماماً بالغاً، وتحدَّث عن وجوب الدعوة وتركيز الحقائق وبيانها، ووجّه المسلمين نحو مواجهة الدعايات والإشاعات المغرضة بأساليب إعلامية نفسية تهدف لتفريغ تلك الدعايات من تأثيراتها السلبية، وإعادة الأمور إلى نصابها وفق البوصلة الإسلامية.

الإعلام والعمل الثوري:

كل ثورة في العالم لابد لها من من حملة إعلامية لإيصال صوتها إلى أسماع الناس، لبيان منطلقاتها وأبعادها، ولمحاولة جذب المناصرين لها، وتحييد من لا يمكن جذبهم، وفضح الدعاية الإعلامية المضادة الهادفة لإخماد الثورة أو تشويه صورتها، وللتأسيس للمرحلة اللاحقة للثورة التي يراد من خلالها جني الثمار.

وهذا العمل الإعلامي يتم بالطبع من خلال الوسائل الإعلامية المتاحة في عصر تلك الثورة. وبما أن موضوعنا هو ثورة الإمام الحسين عليه السلام فإن الوسائل الإعلامية التي يمكن تصورها آنذاك تتمثل في

الخطابة وإلقاء الشعر، وهو ما يدفع الباحثين في هذا المجال لقراءة النصوص الخطابية والشعرية السابقة والمترافقة مع ثورة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام .

ويعتمد بحثي المقدم هنا حول دور الإعلام في ثورة الإمام الحسين على استعراض محاور وأهداف الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، واعتمادها كمنطلق للحديث حول محاور وأهداف الفعل الإعلامي في الثورة الحسينية، لإيماني العميق بأن الثورة الحسينية هي ثورة نابعة من المنهج القرآني في رسم أسس الحياة الكريمة، ومعالم الحركة الإيمانية.

محاور وأهداف الإعلام الإسلامي

لو حاولنا استقراء ما ورد من نصوص في القرآن الكريم حول المجال الدعائي والإعلامي، لخلُصنا إلى أنها ترتكز على عدة محاور أساسيّة، منها: ـ

I. الدّعوة إلى الإسلام، وإعلام النّاس بالحقائق

في القرآن الكريم آيات عديدة تحث على الدعوة واعتماد الأسلوب الإعلام المؤثر لغرض بيان الإسلام وكشف الحقائق، وتوعية الإنسان، وتحريكه، وايقاظ حسّه، وتنبيه وعيه وإحساسه... وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ قوله تعالى :

i. ﴿ ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمُهتدين ﴾

ii. ﴿ فلا ينازعُنّك في الأمر وادع إلى ربّك ﴾

iii. ﴿ فلولا نفر من كُلّ فرقة منهُم طائفة ليتفقّهُوا في الدّين ولينذرُوا قومهُم إذا رجعوا إليهم ﴾

iv. ﴿ لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هُمُ المُفلحون ﴾

تلك آيات وكثير أمثالها تأمر بالدعوة والدعاية إلى الإسلام، وإعلام الآخرين به، وتبليغ رسالته؛ ليكون الناس على بيّنة، وليعرفوا الرسالة الإسلامية وما فيها من عقيدة ونظام وقانون وأخلاق ومصالح وأهداف سامية.

وقد جعل القرآن الدعوة إلى الإسلام، والإعلام به، واجباً كفائياً على المسلمين، وأمرهم بأن تكون منهم أمّة (أي جماعة) ـ كما صرّحت الآية الكريمة آنفاً ـ قائمة بأمر الدعوة إلى الإسلام، وحمل مسؤولية الإعلام والتبليغ، والتعريف بالرسالة الإسلامية ومبادئها .v

وواضح أنّ الأساليب والوسائل المستخدمة لابد أن تكون قائمة على أساس الحكمة، بما تحوي كلمة الحكمة من معان ومفاهيم عملية في الحياة الإنسانية.

ومن الحكمة أن تكون الوسائل والأساليب والبرامج المعتمدة في الدّعوة والإعلام مناسبة للظرف والبيئة الإنسانية السياسية والاجتماعية والفكرية... إلخ، ومراعية للطبيعة النفسية والفكرية للإنسان المخاطَب بالدعوة، هذا علاوة على كونها منبعثة من واقع حاجة الأمة وقضاياها الملحّة، لا أن تكون ترفاً فكرياً وقضايا هامشية يغلب عليها طابع الجدال الفلسفي الذي لا يوصل إلى نتائج ملموسة على الأرض.

وما دمنا نتحدث عن عهد الثورة الحسينية، فإن ذلك يعني أننا نتحدث عن الإسلام بعد أكثر من 73 عاماً من بدء الدعوة إليه، وأن الطرف المقابل الذي يسعى الإمام الحسين عليه السلام ـ ومن معه من الصحب المخلصين ـ لإيصال الكلمة إليهم يمثلون شريحة من شرائح المجتمع الإسلامي، وليسوا من الأمم الأخرى، ومع هذا فإن المحور الذي نحن بصدده ليس أجنبياً عن البحث، وذلك لأن دراسة ما وصل إليه المجتمع الإسلامي من خلال الفعل الأموي المنهج والمستمر يقدّم لنا حقيقة مفادها أنه قد (لُبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً) .vi

لقد واجه الإمام الحسين عليه السلام واقعاً اجتماعياً وسياسياً سيئاً، إذ وجد أن بني أمية قد تمكنوا من مسخ شخصية الأمة مسخاً كاملاً ومصادرة قيمها وقدراتها ووعيها وإرادتها، وأسوأ ما كان في هذا المسخ والتحويل أن القدرة والقوة التي منحهم الإسلام إياها تحوّلت في نفوس هؤلاء، وبفعل بني أمية، إلى قوة للقضاء على الإسلام، والسيف الذي سلّحهم به رسول الله لقتال أعداء الإسلام، تحوّل في أيديهم إلى أداة لمحاربة أبناء رسول الله وأوليائهم دون أعدائهم... وكان هذا هو جوهر المسخ الحضاري الذي تم على يد

بني أمية في حياة هذه الأمة .vii

وإلى هذا المعنى يشير الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الثانية يوم عاشوراء أمام جمهور جيش الأمويين:

(تباً لكم أيها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً أججناها على عدوكم، فأصبحتم ألباً لأوليائكم ويداً عليهم لأعدائكم، لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أملاً أصبح لكم فيهم).viii

ومن هنا زخرت خطب الإمام الحسين وصحبه بالمفاهيم الإسلامية العامة التي حاولوا من خلالها إعادة صياغة الذهنية العامة، أملاً في تحقيق نوع من تعديل الصورة المفاهيمية لدى الناس، وإزالة بعض آثار المسخ الحضاري الذي كانت تعاني منه الأمة.

نموذج:

المقطع السابق من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يمثّل نموذجاً من تلك الكلمات، يطرح فيه انقلاب المفهوم الولائي عند المسلمين، ويتلخص في الفكرة التالية :

كانت هذه الأمة قبل الإسلام تعيش حالة من الضعف والاستضعاف والتشرذم، كانت أمة خاملة الذكر، منسية، راكدة، لا تكاد تجد في حياتها حركة أو عزماً أو قوة على المواجهة، فاستثار الإسلام كوامن الحركة والقوة والعزم والانطلاق والبناء في النفوس، واستخرج الإسلام كنوز القدرة والحركة والثورة في نفوسهم.

وبذا تحولت هذه الأمة إلى حركة حضارية اتسعت في آفاق الأرض بصورة مدهشة، واستقبلتها الأمم واحتضنتها وتبنّت مفاهيمها ومناهجها وبرامجها العملية. ولكن سرعان ما انتكست الأمور وتحولت الحركة والقوة والانطلاقة التي استثارها الإسلام باتجاه عكسي تماماً، وذلك بهدف القضاء على حملة هذا الدين ورعاته ودعاته وأوليائه، ولصالح الطبقة المترفة التي كانت تحارب هذا الدين بالأمس القريب، وتحمل معها رواسب الجاهلية فكراً وسلوكاً وعادات.

إنكم تحملون السيف باسم الإسلام، وتتحركون في موقع حربي باسم الإسلام، وتعلنون الولاء للحاكم باسم الإسلام، ولكن هلاّ استحضرتم في أذهانكم من هم حملة الإسلام وأولياؤه الحقيقيون؟! وما هي المعايير التي اعتمدتموها في اعتبار الحق مع هذا الجانب دون الآخر؟! الحقيقة هي أنكم (... أصبحتم ألباً لأوليائكم ويداً عليهم لأعدائكم، لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أملاً أصبح لكم فيهم).

هذا، ويمكن إضافة النصوص الشعرية التي انطلقت من حناجر الثائرين في يوم العاشر من المحرم من عام 61 هـ، لتمثّل صوراً من استخدام الوسيلة الإعلامية لتوضيح الحقائق المتعلقة بالمفاهيم الإسلامية، لاسيما تلك المتعلقة بأهداف الثورة والأوضاع التي كانت سائدة آنذاك. ومثال على ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام :

القتلُ أولى من ركوب العارِ والعارُ أولى من دخول النارِ
واللهُ من هذا وهذا جاري

2. توجيه الحرب النفسيّة ضدّ الأعداء :

من الأساليب الإعلامية التي اعتمدها القرآن الكريم أسلوب الحرب النفسية ضد الأعداء، وقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الأسلوب بشكل فعّال في مواقع عديدة من صراعه مع قوى الجاهليّة، وحقّق التفوّق المعنوي لقوّاته ورسالته.

وممّا يرويه المؤرّخون في هذا التوظيف الحاذق للحرب النفسيّة، هو العمل الموجّه ضدّ قريش في معركة حمراء الأسد، بعد هزيمة أحُد، وفي معركة الأحزاب.. ففي المعركتين كان لرسول الله صلى الله عليه وآله مواقف إعلامية بارزة، وحرب نفسيّة ناجحة ضدّ خصومه.

ومن نماذج ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد قول تعالى ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألَمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ .ix

ومن يتمعن في خطابات الإمام الحسين عليه السلام فإنه يلحظ ملامح الحرب النفسية في كلماته والتي يوظّفها للتأثير في معسكر الأمويين بهدف تقوية معنويات أنصاره، وتغيير موقف بعض أفراد العدو، لاسيما أولئك الذين لم يحسموا أمرهم بشكل نهائي في موقفهم من المعركة التي ستقوم.

نموذج:

من كلمات الإمام الحسين عليه السلام والتي يبرز فيها هذا الجانب قوله في يوم العشر من المحرم:

(أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدِّق لرسول الله بما جاء

به من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ !

فإن صدقتموني بما أقول، وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ !).

ثم قال: (فإن كنتم في شك من هذا، أفتشكّون أني ابن بنت نبيكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة ؟ !).

وهنا برز التأثير النفسي العميق في معسكر الأعداء، إذ قال المؤرخون: (فأخذوا لا يكلمونه)، وهذا ناتج عن عمق التأثير فيهم وإحراجهم في الموقف، ولذا سارع عليه السلام لتوجيه المزيد من الكلمات النافذة وإلى أفراد محددين، فنادى:

(يا شبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجند ؟ !).

وتجلى التأثير النفسي في القائد الحر بن يزيد الرياحي الذي أخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل – وهي الرعدة – فقال له المهاجر: إنَّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ ! فقال له الحر: إني والله أخيِّر نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحُرّقت. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام) .X

3. الدعاية المضادة (رد الأباطيل) :

يلجأ بعض الخصوم إلى الحرب الدعائية الإعلامية والنفسية المعتمدة على الأكاذيب والإشاعات، وتبرز هنا أهمية الدعاية المضادة، وقد حرص القرآن الكريم على توعية المسلمين، وتكوين الحسّ السياسي والإعلامي لديهم؛ لصيانة الرأي العام الإسلامي، وتحصينه من التأثّر بالإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يبثها المندسّون والمنافقون والخصوم؛ ليكوّن المناعة الفكرية والنفسية، ويفوّت الفرص على أولئك المخرّبين، فثبّت الأسس والموازين اللازمة للإنسان المسلم، ليتمكّن من فحص وتمييز الإشاعة والدعاية

الكاذبة وفرزها، والوقوف بوجهها.

كما هاجم القرآن المرجفين، ومروِّجي الإشاعات، ومثيري الفتن، واللاعبين بالرأي العام، الذين يسعون في الأرض فساداً، ويربكون استقرار المجتمع الإسلامي وأمنه، ويهدمون حصونه النفسية والفكرية، ويحاولون فتح الثغراب في بنائه، وبين أبنائه.

قال تعالى متحدّثاً عن شريحة من شرائح هذه الطوابير المخرّبة، يصف وضعها النفسي وعملها الهدّام: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً ﴾.[xi]

وقال تعالى ﴿ لئن لم ينته المُنافقون والّذين في قلوبهم مرض والمُرجفُون في المدينة لنُغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلاّ قليلاً × ملعونين أين ما ثُقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلاً × سنّةّ الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسُنة الله تبديلاً ﴾ .[xii]

نموذج:

واجه الإمام الحسين عليه السلام حملة دعائية إعلامية من قبل معاوية بن أبي سفيان تمهيداً لأخذ البيعة من الناس لابنه يزيد، تركزت على تلميع صورة الابن المنشغل بملاهيه، البعيد عن قيم الإسلام، وبث الإشاعة بين الناس حول قبول كبار الشخصيات الإسلامية بمرشح الخلافة.

ونقل ابن قتيبة الدينوري نصوصاً عدة ومطوّلة حول مساعي معاوية لإقناع الحسين وابن عمر وابن عباس وابن الزبير و عبدالرحمن بن أبي بكر لمبايعة يزيد وفشله في ذلك، ثم قدومه للمدينة المنورة بهدف التأثير فيهم أو اللجوء لأسلوب الإشاعة بالإيحاء بأن مقابلاته لهم أثمرت إيجابياً، وقد اخترت المقاطع التالية من النصوص التي رواها الدينوري ـ مع مراعاة الاختصار ـ، فقد ذكر تحت عنوان قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة:

(وذكروا أنه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لأمره والكراهية لبيعته ليزيد، كتب إلى سعيد بن العاص، يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد، أخذاً بغلظة وشدة، ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا، وأمره أن لا يحرك هؤلاء النفر، ولا يهيجهم.

فلما قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظه، فلم يبايعه أحد منهم. فكتب إلى معاوية: إنه لم يبايعني أحد، وإنما الناس تبع لهؤلاء النفر، فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً، ولم

يتخلف عنك أحد.

فكتب إليه معاوية يأمره أن لا يحرّكهم إلى أن يقدم، فقدم معاوية المدينة حاجاً، فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه، ما بين راكب وماش، وخرج النساء والصبيان، فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به في الفوت والقرب، فلان لمن كافحه، وفاوض العامة بمحادثته وتألَّفهم جَهده، مقاربةً ومصانعةً، ليستميلهم إلى ما دخل فيه الناس، حتى قال في بعض ما يجتلبهم به: يا أهل المدينة ما زلت أطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم، حتى انطوى البعيد، ولان الخشن، وحقٌّ لجارِ رسول الله أن يتاق إليه.

فرد عليه القوم: بنفسك ودارك ومهاجرك، أما إن لك منهم كإشفاق الحميم البر، والحفي المتعاهد.

قال: حتى إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، فقال معاوية: مرحباً بابن بنت رسول الله وابن صنو أبيه، ثم انحرف إلى الناس، فقال: هذان شيخا بني عبد مناف. وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحَّب وقرَّب، وجعل يواجه هذا مرة، ويضاحك هذا أخرى، حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان، يسلّمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل، فانصرفا عنه فمال الحسين إلى منزله، ومضى عبد الله بن عباس إلى المسجد فدخله).

ثم أرسل إلى الحسين وابن الزبير وابن عمر وغيرهم، كلٍّ على حدة، أملاً في إقناعهم، حتى إذا كان الغد عقد مجلساً خاصاً جمعهم فيه، وأمر الكتّاب أن يكتبوا كلامه، ثم ابتدأ معاوية كلامه بتمجيد الله والثناء على رسوله وأبي بكر وعمر وعثمان، و قال:

(وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه ، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية ، من سد الخلل ، ولمِّ الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين، وأحمد الفعل، هذا معناي في يزيد، وفيكما فضل القرابة، وحظوة العلم، وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة، ما أعياني مثله عندكما، وعند غيركما، مع علمهِ بالسُّنة، وقراءة القرآن، والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة، قدم على الصديق والفاروق، ومن دونهما من أكابر الصحابة، وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل، مَن لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة، ولا سنة مذكورة، فقادهم الرجل بأمره، وجمع بهم صلاتهم، وحفظ عليهم فيئهم، وقال فلم يقل معه xiii ، وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة. فمهلاً بني عبد المطلب، فأنا وأنتم شعبا نفع وجد، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فردّا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما، وأستغفر الله لي ولكما).

ونهض الإمام الحسين عليه السلام للرد على ما طرحه معاوية من مغالطات، فقال بعد أن حمد الله وثنى على رسوله:

(أما بعد يا معاوية، فلن يؤدي القائل، وإن أطنب في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ النعت، وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفطرت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرت عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد – لعمر الله – أورثنا الرسول ﷺ ولادة وجئت لنا بها، أما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، ورده الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول، وبيعته له، وما صار – لعمر الله – يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقال ﷺ : لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري.

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول، في أوكد الأحكام وأولاها بالمُجمع عليه من الصواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابعاً، وحولك من لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك. إن هذا لهو الخسران المبين. وأستغفر الله لي ولكم).

وهكذا أفسد الإمام الحسين عليه السلام مخطط معاوية، الذي لجأ بعد عدة أيام إلى وسيلة إعلامية أخرى أملاً في تحقيق رغبته، إذ جمع الناس في المسجد النبوي، فقال:

(يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها في بيعته، فبايع الناس جميعاً، وسلموا، وأخَّرَت المدينة بيعته، وقلَّت بيضته وأصله، ومن لا أخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كانوا أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له.

فقام الحسين فقال: والله لقد تركتَ من هو خير منه أباً وأماً ونفساً. فقال معاوية: كأنك تريد نفسك؟ فقال الحسين: نعم، أصلحك الله. فقال معاوية: إذاً أخبرك، أما قولك: خير منه أماً، فلعمري:

أمك خير من أمه، ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهن، فكيف وهي ابنة رسول الله ﷺ ؟ ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأمك لعمر الله خير من أمه، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله، فقضى لأبيه على أبيك. فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرتَ العاجل على الآجل. فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً، فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك).

ولما لم يجد معاوية استجابة، نزل عن المنبر وانصرف ذاهباً إلى منزله، وأمر من حرسه وشرطته قوماً أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة، وهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، عبد الرحمن بن أبي بكر، وأوصاهم معاوية فقال: إني خارج العشية إلى أهل الشام، فأُخبِرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا، فإن تكلم أحد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه، فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه. [xiv]

ومن خلال العرض السابق والمختصر حول أهم محاور العمل الإعلامي في الثورة الحسينية يتضح لنا الحاجة الملحّة لدراسة المنهج الإعلامي في القرآن الكريم بصورة موسَّعة، وربط ذلك بالطرق والآليات والتقنيات المعاصرة والمتاحة إعلامياً، بالإضافة إلى الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية الكفيلة بتكامل الصورة لدى العاملين في هذا الحقل، والتي تمكنهم من النهوض بالحالة الإعلامية الإسلامية التي تشهد تخبّطاً في مسيرتها، وتيهاناً في أهدافها، وضعفاً في أدائها.

المصادر:

. i النحل/125 .

. ii الحج/67 .

. iii التوبة/122 .

. iv آل عمران/104 .

. v انظر : مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني – من منشورات دار التوحيد – سلسلة مفاهيم إسلامية 41 .

. vi نهج البلاغة ـ الخطبة 108 .

. vii وارث الأنبياء – الآصفي – ص 212–213 .

. viii مثير الأحزان – ابن نما الحلي – ص 39 – 40 .

. ix النساء/104 .

. x الإرشاد – الشيخ المفيد – ج 2 – ص 97 – 99 .

. xi الأحزاب/58 .

. xii الأحزاب/60–62 .

. xiii يقصد بالرجل عمرو بن العاص.

. xiv الامامة والسياسة – ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق الزيني – ج 1 – ص 157 – 163 .